

التي لم تكن بدورها في امان . لقد كان الصهيونيون على الرغم من كونهم اقل عددا من الفلسطينيين العرب أكثر وأفضل منهم عدة وأحسن تنظيما بحيث تركت نجاحاتهم العسكرية أملا ضئيلا للمدنيين العرب العزل من السلاح بأن يشعروا بالامان . ثم وقعت مذبحه دير ياسين الرهيبة التي جرى الاعلام عنها بطريشة مقصودة ترمي الى نشر الرعب في قلوب المدنيين العزل . وقد سقط ضحية هذه المذبحة ٢٥٤ مدنيا عربيا - من الرجال والنساء والاطفال - في التاسع من نيسان ١٩٤٨ . وارتكب الصهيونيون اعمالا وحشية مماثلة اثارته الهلع في النفوس وادت الى الفرار الجماعي من البلاد طلبا للسلامة بحيث اخلت البلاد تقريبا وأعلن قيام اسرائيل .

وقررت عائلة صايغ مغادرة بيتها في طبرية مثل الاف الناس الاخرين ، وانتهى بها الامر في لبنان فاقامت في بيروت حيث درّس توفيق لفترة من الزمن الادب العربي في الجامعة الأميركية في بيروت ورئس تحرير « صوت المرأة » التي كانت تصدر في بيروت باللغة العربية عن الاتحاد النسائي اللبناني . ثم أصبح بعد ذلك مديرا لمكتبة مركز الاعلام الاميركي في بيروت .

وحاز توفيق في العام ١٩٥١ على منحة مؤسسة روكفلر لدراسة الادب المقارن في جامعة هارفارد . ثم نال في العام ١٩٥٢ منحة من المجلس الثقافي البريطاني لدراسة الادب في جامعة اكسفورد . وفي السنة الدراسية ١٩٥٣ - ١٩٥٤ تابع الدراسات العليا في الادب في جامعة كامبردج منيها على حد قوله «ثلاث سنوات من الحج الادي» . وبعد ذلك عين أستاذا للدراسات الشرقية في جامعة كامبردج لينتقل منها في العام ١٩٥٩ الى جامعة لندن كمحاضر في الادب العربي حيث بقي في هذا المنصب حتى العام ١٩٦٢ .

وفي العام ١٩٦٢ نفسه عاد الى بيروت لرئس مجلة « حوار » منذ بدايتها حتى نهايتها في العام ١٩٦٧ ، وكانت تجربة أثرت في نفسه كثيرا ما لبث بعدها أن ذهب الى الولايات المتحدة في خريف العام ١٩٦٧ حيث قضى نحو سنة جولة يحاضر فيها في الجامعات الأميركية مثل جامعة برنستون حيث ألقى سلسلة محاضرات امتدت على مدى ستة أسابيع حول الشعر العربي المعاصر . وعين في خريف العام ١٩٦٨ محاضرا في قسم لغات الشرق الادنى والادب المقارن في جامعة بيركلي في كاليفورنيا ، وبقي فيها الى ان وافته المنية في كانون الثاني من العام ١٩٧١ .

لم ينشر توفيق صايغ شيئا بعد سفره الى الولايات المتحدة عدا ترجمته العربية لرباعيات ت. س. اليوت . وقد صدرت في بيروت في العام ١٩٧٠ أثناء زيارة توفيق بيروت لهذا الغرض في ذلك العام . لكنه كان قد بدأ ترجمة هذا الكتاب في العام ١٩٦١ والعام ١٩٦٢ عندما كان لا يزال في لندن ، ثم نشرها مسلسلا في مجلة « أصوات » الفصلية الصادرة بالعربية في لندن وقد قدم للمسلسل بدراسة نقدية ممتازة . ولكن اوراق توفيق الخاصة لم تكن في المتناول اذ جمعها في شقيقته ومن مكتبته في بيركلي اخوه الدكتور فايز صايغ . ولا تزال عائلته تدرس تلك الاوراق قبل السماح بنشرها . ومع ان توفيق احاط نفسه بستار من الصمت الا انني اعلم انه كان يكتب نوعا من المذكرات الشعرية او بالبحري سيرته الذاتية شعرا كما يراه الآخرون .

ولكن توفيق خلف وراءه عددا من اعماله المنشورة اكسبته مكانة في عالم الادب العربي المعاصر ، وهي مكانة لا تزال موضع نقاش : فالتقليديون ينكرون عليه هذه المكانة انكارا شديدا ، أما الطليعيون فيعترفون له بتلك المكانة بصورة رئيسية . ولقد استوحى توفيق صوغ أفكاره من القيم الثقافية الغربية أكثر مما استوحاه من القيم العربية التقليدية . هذا من ناحية . ومن ناحية ثانية جاءت معاناته الروحية واهتماماته